
الصِّحَّةُ الإِنْجَابِيَّةُ
مَقْصِدُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ
سَيِّدُ عَبْدُ الْعَاطِي بْنُ مُحَمَّدِ الذَّهَبِي
اعرف

الصِّحَّةُ الْإِنْجَابِيَّةُ

مَقْصِدُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

أبُو أحْمَد

سَيِّدِ عَبْدِ الْعَاطِي بْنِ مُحَمَّد الذَّهَبِيُّ







الْحَمْدُ للهِ بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَبِشُكْرِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ يَكْثُرُ الْخَيْرُ وَتَزْدَادُ الْمَسَرَّاتُ، وَأشْهَدُ أنْ لَّا إلَهَ إلَّا اللهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ، وَأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ يُصَلِّي عَلَيْهِ أهْلُ الْأرْضِ وَالسَّمَوَاتِ،وَرَضِيَ اللهُ عَنْ سَادَاتِ أُمَّتِنَا وَكُبَرَاءِ أئِمَّتِنَا بِالْحَقِّ أبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَبَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ وَالتَّابِعِينَ إلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أمَّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ-رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِالصِّحَّةُ الإنْجَابِيَّةُ مَقْصِدُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ} فِيهَا بَيَانٌ لِمَقْصِدٍ مِنْ مَقَاصِدِ التَّشْرِيعِ فِي الْإسْلَامِ يَتَعَلَّقُ بِالصِّحَّةِ الْإنْجَابِيَّةِ لِلأبْنَاءِ وَالَّتِي تُظْهِرُ مَحَاسِنَ التَّشْرِيعِ الَّذِي يَقْصِدُ إلَى حِفْظِ النَّفْسِ مِنْ أجْلِ التَّمَتُّعِ بِالطَّيِّبَاتِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهِ وَتَحْقِيقِ اسْتِقْرَارِ الْبِلَادِ وَسَعَادَةِ الْعِبَادِ،

فَأقُولُ مُمَهِّدًا:

•لَقَدْ جَاءَ الْإسْلَامُ بِمَنْهَجٍ شَامِلٍ مُتَكَامِلٍ فَوَضَعَ لِلإنْسَانِ مِنَ الْقَوَاعِدِ وَالنُّظُمِ مَا يُنَظِّمُ لَهُ حَيَاتَهُ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْأُخْرَوِيَّةَ، وَبِذَلِكَ ضَمِنَ لِلإنْسَانِ مَا يُحَقِّقُ لَهُ جَمِيعَ مَصَالِحِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ، فَقَدْ جَاءَ الْإسْلَامُ لِلحِفَاظِ عَلَى الْمَصَالِحِ الْعُلْيَا وَالضَّرُورَاتِ الْخَمْسِ وَالْمُتَمَثِّلَةِ فِي الْحِفَاظِ عَلَى: (الدِّينِ ،وَالنَّفْسِ، وَالْعَقْلِ، وَالنَّسْلِ(الْعِرْض)،وَالْمَالِ).

•وَالسَّعَادَةُ فِي ظِلِّ الْإسْلَامِ تَشْمَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ:

(أ)السَّعَادَةُ الدُّنْيَوِيَّةُ:

-فَقَدْ شَرَعَ الْإسْلَامُ مِنَ الْأحْكَامِ وَوَضَعَ مِنَ الضَّوَابِطِ مَا يَكْفُلُ لِلإنْسَانِ سَعَادَتَهُ الدُّنْيَوِيَّةَ فِي حَيَاتِهِ الْأولَى، إلَّا أنَّهُ يُؤَكِّدُ بِأنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَيْسَتْ سِوَي سَبِيلٍ إلَى الْآخِرَةِ، فَهِيَ مَمَرٌّ وَلَيْسَتْ مَقَرًّا،هِي أمَدٌ وَلَيْسَتْ أبَدًا،وَأنَّ الْحَيَاةَ الْحَقِيقِيَّةَ الَّتِي يَجِبُ أنْ يَسْعَى لَهَا الْإنْسَانُ هِيَ حَيَاةُ الْآخِرَةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.(النَّحل:٩٧).وَقَالَ تَعَالَى:{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}.(القصص:٧٧). وَقَالَ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ

أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ}.(التَّوبة:٣٨).

(ب)السَّعَادَةُ الْأُخْرَوِيَّةُ:

-وَهَذِهِ هِيَ السَّعَادَةُ الدَّائِمَةُ الْخَالِدَةُ، وَهِيَ مُرَتَّبَةٌ عَلَى صَلَاحِ الْمَرْءِ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ}.(النَّحل: ٣٠).وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.(النَّحل:٣٢).

الصّحّة الإنْجابيّة
مَقصدُ القرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبويَّةِ
سَيِّد عَبْد العَاطِي بْن مُحَمَّد الذَّهَبِي

•وَلِكَيْ يُحَقِّقُ الْإِنْسَانُ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلَابُدَّ مِنْ أَسْبَابٍ، هَذِهِ الْأَسْبَابُ هِيَ:

(١)الْإِيمَانُ الصَّادِقُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ:

•وَتَحْصُلُ السَّعَادَةُ بِالْإِيمَانِ الصَّادِقِ مِنْ عِدَّةِ جَوَانِب:

-إِذَا حَقَّقَ الْإِنْسَانُ الْإِيمَانَ الصَّادِقَ كَانَ مُطْمَئِنَّ الْقَلْبِ هَادِئَ النَّفْسِ وَلَا يَكُونُ قَلِقًا مُتَبَرِّمًا مِنَ الْحَيَاةِ بَلْ يَكُونُ رَاضِيًا بِمَا قَدَّرَ اللهُ لَهُ شَاكِرًا لِلْخَيْرِ صَابِرًا عَلَى الْبَلَاءِ.

إِنَّ خُضُوعَ الْمُؤْمِنِ لِلهِ تَعَالَى يَقُودُهُ إِلَى الرَّاحَةِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْمُقَوِّمُ الْأَوَّلُ لِلإِنْسَانِ الْعَامِلِ النَّشِطِ الَّذِي يَشْعُرُ بِأَنَّ لِلحَيَاةِ مَعْنًى وَغَايَةً يَسْعَى لِتَحْقِيقِهَا قَالَ اللهُ تَعَالَى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}. (الأنعام:٨٢).

-إِنَّ الْإِيمَانَ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ صَاحِبَ هَدَفٍ يَسْعَى لِتَحْقِيقِهِ فَتَكُون حَيَاتُهُ تَحْمِلُ مَعْنًى سَامِيًا نَبِيلًا يَدْفَعُهُ إِلَى الْعَمَلِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ،فَيَحْيَا مِنْ أَجْلِ أُمَّتِهِ فَيَسْعَد.

•إِنَّ الْإِيمَانَ يَدْعُو إِلَى الصَّبْرِ عَلَى الْمَقَادِيرِ الْمُؤلِمَةِ وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ وَصِدْقِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ،وَالْخَوْفِ مِنْهُ،وَهَذِهِ الْمَعَانِي الْإِيمَانِيَّة سَبِيلُ السَّعَادَةِ.



(٢)التَّحَلِّي بِالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي تَدْفَعُهُ لِلإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ:

-لَقَدِ اهْتَمَّ الْإِسْلَامُ بِالْجَانِبِ الْخُلُقِي اهْتِمَامًا كَبِيرًا يَظْهَرُ ذَلِكَ فِيمَا يَلِي:

-قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الرَّسُولِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.(القلم: ٤).

-وَقَالَ تَعَالَى مُوَجِّهًا رَسُولَهُ الْأَمِينَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}. (آل عمران: ١٥٩).

-وَقَالَ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.(المائدة: ٢).

-وَقَالَ تَعَالَى:{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)

وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}. (فصّلت:٣٤-٣٥).

-وَقَالَ تَعَالَى مُحَذِّرًا مِنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}.(الحجرات:١١-١٢).

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي الْمُسْنَدِ بِرَقَمِ

(٨٩٥٢)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ وَ فِي رِوَايَةٍ (صَالِحَ) الْأَخْلَاقِ}.

-وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٦٠١١)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٢٥٨٦)وَاللَّفْظُ لَهُ مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ . مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى}.



(٣)الإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى:

فَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى لَذَّةُ الْحَيَاةِ،وَاطْمِئنَانُ الْقَلْبِ،وَبَهْجَةُ النَّفْسِ،وَسَعَادَةُ الرُّوحِ،وَالْحِصْنُ الْحَصِينُ مِنَ الْآفَاتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}.(الرَّعد:٢٨).

الصِّحَّةُ الإِنْجَابِيَّةُ
مَقْصِدُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ
سَيِّد عَبْد العَاطِي بْن مُحَمَّد الذَّهَبِي

(٤)السَّعْيُ لِتَحْقِيقِ الْقَدْرِ الْمَادِيِّ اللَّازِمِ لِلسَّعَادَةِ:

فَمِنْ مَحَاسِنِ التَّشْرِيعِ فِي الْإِسْلَامِ تَحْقِيقُ التَّوَازُنِ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالدِّينِ قَالَ تَعَالَى:{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}.(القصص:٧٧).،وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩)فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.(الجمعة:٩-١٠).

فَدَعَا للأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ الْمَادِيَّةِ لِمَا لَهَا مِنْ أَثَرٍ فِي تَحْقِيقِ السَّعَادَةِ إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْمَادِيَّةَ لَيْسَتْ شَرْطًا لَازِمًا فِي تَحْقِيقِ السَّعَادَةِ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ جُمْلَةِ الْوَسَائِلِ الْمُؤدِّيَةِ لِذَلِكَ،وَقَدْ تَنَاوَلَتْ كَثِيرٌ مِنَ النُّصُوصِ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ مِنْهَا: قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}.(الأعراف:٣٢).

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ بِرَقَمِ(٢٩٩)مِنْ حَدِيثِ عَمْرُو بْن الْعَاصِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُغْنِمَكَ اللهُ، وَأَرْغَبَ لَكَ رَغْبَةً مِنَ الْمَالِ صَالِحَةً،قُلْتُ:إِنِّي لَمْ أُسْلِمْ رَغْبَةً فِي الْمَالِ، إِنَّمَا أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، فَأَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ، فَقَالَ: يَا عَمْرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلمَرْءِ الصَّالِحِ}.



-وَذَكَرَ الْمُنْذِرِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ بِرَقَمِ (٢٥٧٦)وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ بِرَقَمِ(٢٥٧٦)مِنْ حَدِيثِ سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ : الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ . أَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاءِ : الْجَارُ السُّوءُ ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ ، وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ}.

الصِّحَّةُ الإِنْجَابِيَّةُ
مَقْصِدُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ
سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمَّد الذَّهَبِي

(٥)تَنْظِيمُ الْوَقْتِ:

تَنْظِيمُ الْوَقْتِ وَمَعْرِفَةُ أَهِمِّيَّةِ مِنْ أَسْبَابِ تَحْقِيقِ السَّعَادَةِ،

فَالْوَقْتُ رَأسُ مَالِ الْإِنْسَانِ، فَهُوَ فَتْرَةُ بَقَائِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِذَلِكَ اعْتَنَى الْإِسْلَامُ بِالْوَقْتِ وَجَعَلَ الْمُؤْمِنَ مَسْئُولًا عَنْ وَقْتِهِ وَأَنَّهُ سَوْفَ يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَقَدْ جَاءَتْ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ بِحَيْثُ تُعِينُ الْإِنْسَانَ عَلَى تَرْتِيبِ وَقْتِهِ وَإِحْسَانِ اسْتِغْلَالِهِ، وَذَلِكَ بِالْمُوَازَنَةِ بَيْنَ حَاجَاتِهِ الْحَيَاتِيَّةِ وَالْمَعِيشِيَّةِ مِنْ جَانِبٍ، وَحَاجَاتِهِ الرُّوحِيَّةِ وَالْعِبَادِيَّةِ مِنْ جَانِبٍ آخَر، وَقَدْ حَثَّ الْإِسْلَامُ الْمُؤمِنَ عَلَى اسْتِثْمَارِ وَقْتِهِ وَإِعْمَارِهِ بِالْخَيْرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

-قَالَ اللهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩)وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ(١٠)وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.(المنافقون:٩-١١)

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٢٤١٧)مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرْزَة الْأَسْلَمِيِّ نَضْلَة بْنِ عُبَيْدٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ،وَعن عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ}.

•وَبَعْد هَذَا التَّمْهِيدِ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

•أَوَّلًا:الصِّحَّةُ نِعْمَةٌ جَلِيلَةٌ:

-صِحَّةُ الْبَدَنِ وَالنَّفْسِ وَقُوَّتُهُمَا نِعْمَةٌ جَلِيلَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٦٤١٢)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ

اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ}.

-فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِنِعْمَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ جَلِيلَتَيْنِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَلَا يَعْرِفُونَ قَدْرَهُمَا وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهِمَا فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ، وَهُمَا: صِحَّةُ الْبَدَنِ وَالنَّفْسِ وَقُوَّتُهُمَا، وَالْفَرَاغُ، وَهُوَ خُلُوُّ الْإِنْسَانِ مِنْ مَشَاغِلِ الْعَيْشِ وَهُمُومِ الْحَيَاةِ، وَتَوَفُّرُ الْأَمْنِ وَالاطْمِئْنَانِ النَّفْسِيِّ، فَهُمَا نِعْمَتَانِ عَظِيمَتَانِ، لَا يُقَدِّرُهُمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ حَقَّ قَدْرِهِمَا.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَفَرَّغُ لِلطَّاعَةِ إِلَّا إِذَا كَانَ مَكْفِيًّا، صَحِيحَ الْبَدَنِ؛ فَقَدْ يَكُونُ مُسْتَغْنِيًا وَلَا يَكُونُ صَحِيحًا، وَقَدْ يَكُونُ صَحِيحًا وَلَا يَكُونُ مُسْتَغْنِيًا، فَلَا يَكُونُ مُتَفَرِّغًا لِلعِلْمِ وَالْعَمَلِ؛ لِشُغُلِهِ بِالْكَسْبِ، فَمَنْ حَصَلَ لَهُ الْأَمْرَانِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ، وَكَسِلَ عَنِ الطَّاعَاتِ؛ فَهُوَ الْمَغْبُونُ الْخَاسِرُ فِي تِجَارَتِهِ!

-وَفِي الْحَدِيثِ:التَّرْغِيبُ فِي اسْتِغْلَالِ النِّعَمِ مِنْ صِحَّةٍ وَفَرَاغٍ وَغيْرِهِمَا، وَالاسْتِفَادَةُ مِنْهُمَا فِيمَا يُرْضِي اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٢٣٤٦)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا}.

-نِعَمُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ كَثِيرَةٌ لَا تُحْصَى، وَالرِّزْقُ مُتَعَدِّدٌ مُتَنَوِّعٌ؛ فَلَيْسَ الرِّزْقُ مَحْصُورًا فِي الْمَالِ فَقَط، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مُعَلِّمًا أَصْحَابَهُ وَأُمَّتَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ:{مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ}، أَيْ: أَيُّ عَبْدٍ كَانَ:{آمِنًا فِي سِرْبِهِ}، أَيْ: تَوَفَّرَ لَهُ الْأَمَانُ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَلَى أَهْلِهِ وَجَمَاعَتِهِ، وَقِيلَ: السِّرْبُ هُوَ السَّبِيلُ أَوِ الطَّرِيقُ، وَقِيلَ: الْبَيْتُ، {مُعَافًى فِي جَسَدِهِ}، أَيْ: تَحَصَّلَتْ لَهُ الْعَافِيَةُ فِي الْجَسَدِ فَسَلِمَ مِنَ الْمَرَضِ وَالْبَلَاءِ وَكَانَ صَحِيحًا،{عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ}، أَيْ: وَتَوَفَّرَ لَهُ رِزْقُ يَوْمِهِ وَمَا يَحْتَاجُهُ مِنْ مَؤونَةٍ وَطَعَامٍ وَشَرَابٍ يَكْفِي يَوْمَهُ،{فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا}، أَيْ: فَكَأَنَّمَا مَلَكَ الدُّنْيَا وَجَمَعَهَا كُلَّهَا؛ فَمَنْ تَوَفَّرَ لَهُ الْأَمَانُ وَالْعَافِيَةُ وَالرِّزْقُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيءٍ بَعْدَ ذَلِكَ، فَكَانَ كَمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا، وَجَمَعَهَا، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيءٍ آخَرَ، وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ تَعَالَى وَيَشْكُرَهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ،وَفِي الْحَدِيثِ:بَيَانُ ضَرُورَةِ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ إِلَى الْأَمَانِ وَالْعَافِيَةِ وَالْقُوتِ.



•ثَانِيًا:حِرْصُ الْإِسْلَامِ عَلَى الصِحَّةِ الْإِنْجَابِيَّةِ:

-لَقَدْ حَرِصَ الْإِسْلَامُ عَلَى الصِحَّةِ الْإِنْجَابِيَّةِ لِمَا لَهَا مِنْ عَظِيمِ الْأَثَرِ فِي إِعْمَارِ الْكَوْنِ وَتَحْقِيقِ الْمَقْصِدِ مِنَ الْخَلْقِ وَهُوَ عِبَادَةُ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ الْقَائِل:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.(الذَّارِيات:٥٦).

-وَلَقَدْ وَضَعَ الْإِسْلَامُ أسسًا لِتَحْقِيقِ هَذَا الْمَقْصِدِ مِنْهَا:

(١)النِّكَاحُ لَا السِّفَاح:

-فَالنِّكَاحُ الشَّرْعِيُّ هُوَ السَّبِيلُ لِتَكْوِينِ أسْرَةٍ مُسْلِمَةٍ يَنْشَأُ فِي كَنَفِهَا النَّشْءُ الصَّالِحُ،بِخِلَافِ السِّفَاحِ (الزِّنَا)الَّذِي يَهْدِمُ الْمُجْتَمَعَاتِ وَتَخْتَلِطُ فِيهِ الْأَنْسَابُ وَتَنْتَشِرُ الْأَمْرَاضُ وَالْآفَاتُ وَالْعِلَلِ النَّفْسِيَّةِ فَلَا أَمَان وَلَا اسْتِقْرَار وَلَقَدْ حَذَّرَ الْإِسْلَامُ مِنَ الزِّنَا فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}.(الإسراء:٣٢).،وَالنَّهْيُ عَنْ قُرْبَانِهِ أبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ عَنْ مُجَرَّدِ فِعْلِهِ لأنَّ ذَلِكَ يَشْمَلُ النَّهْيَ عَنْ جَمِيعِ مُقَدِّمَاتِهِ وَدَوَاعِيهِ فَإِنَّ:(مَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ) خُصُوصًا هَذَا الأمْرِ الَّذِي فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّفُوسِ أقْوَى دَاعٍ إِلَيْهِ.

-وَوَصَفَ اللهُ الزِّنَى وَقَبَّحَهُ بِأَنَّهُ {كَانَ فَاحِشَةً} أيْ: إِثْمًا يُسْتَفْحَشُ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ وَالْفِطَرَ لِتَضَمُّنِهِ التَّجَرِّي عَلَى الْحُرْمَةِ فِي حَقِّ اللهِ وَحَقِّ الْمَرْأةِ وَحَقِّ أَهْلِهَا أَوْ زَوْجِهَا وَإِفْسَادِ الْفِرَاشِ وَاخْتِلَاطِ الْأنْسَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ.

-وَقَوْلُهُ:{وَسَاءَ سَبِيلًا} أيْ: بِئْسَ السَّبِيل سَبِيل مَنْ تَجَرَّأَ عَلَى هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ.

-بِخِلَافِ الزَّوَاجِ الشَّرْعِيِّ فَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ آيَةً دَالَّةً عَلَى وَحْدَانِيَّةِ فَقَالَ تَعَالَى:{وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.(الرُّوم:٢١).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{{ وَمِنْ آيَاتِهِ } الدَّالَّةِ عَلَى رَحْمَتِهِ وَعِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ وَحِكْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ وَعِلْمِهِ الْمُحِيطِ، {أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} تُنَاسِبُكُمْ وَتُنَاسِبُونَهُنَّ وَتُشَاكِلُكُمْ وَتُشَاكِلُونَهُنَّ {لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً } بِمَا رَتَّبَ عَلَى الزَّوَاجِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ.فَحَصَلَ بِالزَّوْجَةِ الاسْتِمْتَاعُ وَاللَّذَّةُ وَالْمَنْفَعَةُ بِوُجُودِ الْأَوْلَادِ وَتَرْبِيَتِهِمْ، وَالسُّكُون إِلَيْهَا، فَلَا تَجِدُ بَيْنَ أحَدٍ فِي الْغَالِبِ

مِثْلَ مَا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ،{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} يُعْمِلُونَ أَفْكَارَهُمْ وَيَتَدَبَّرُونَ آيَاتِ اللهِ وَيَنْتَقِلُونَ مِنْ شَيءٍ إِلَى شَيءٍ}.

-فَفِي ظِلِّ النِّكَاحِ يَنْعَمُ الزَّوْجَيْنِ بِحَيَاةٍ نَقِيَّةٍ كَمَا يَنْعَمُ الْأَطْفَالُ بِحَيَاةٍ مُسْتَقِرَّةٍ وَعِنَايَةٍ صِحِّيَّةٍ وَإِيمَانِيَّةٍ طَيِّبَةٍ.



(٢)الرَّضَاعُ حَوْلَيْنِ:

-وَقَدْ حَرَصَ الْإِسْلَامُ عَلَى صِحَّةِ الطِّفْلِ فَشَرَعَ لَهُ حَقَّ الرَّضَاعِ بِمُجَرَّدِ مَوْلِدِهِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{هَذَا خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ، تَنْزِيلًا لَهُ مَنْزِلَةَ الْمُتَقَرِّرِ، الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَمْرٍ بِأَنْ {يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ} وَلَمَّا كَانَ الْحَوْلُ، يُطْلَقُ عَلَى الْكَامِلِ، وَعَلَى مُعْظَمِ الْحَوْلِ قَالَ:{كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ} فَإِذَا تَمَّ لِلرَّضِيعِ حَوْلَانِ، فَقَدْ تَمَّ رَضَاعُهُ وَصَارَ اللَّبَنُ بَعْدَ ذَلِكَ، بِمَنْزِلَةِ سَائِرِ الْأَغْذِيَةِ، فَلِهَذَا كَانَ الرَّضَاعُ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ، غَيْرَ مُعْتَبَرٍ، لَا يُحَرِّمُ.

-وَيُؤْخَذُ مِنْ هَذَا النَّصِّ، وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا} أَنَّ أَقَلَّ مُدَّةِ الْحَمْلِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ، وَأَنَّهُ يُمْكِنُ وُجُودُ الْوَلَدِ بِهَا.{وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ }- أَيْ: الْأَبِ {رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} وَهَذَا شَامِلٌ لِمَا إِذَا كَانَتْ فِي حِبَالِهِ أَوْ مُطَلَّقَةً، فَإِنَّ عَلَى الْأَبِ رِزْقَهَا،- أَيْ: نَفَقَتُهَا وَكِسْوَتُهَا، وَهِيَ الْأُجْرَةُ لِلرَّضَاعِ.

-وَدَلَّ هَذَا، عَلَى أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ فِي حِبَالِهِ، لَا يَجِبُ لَهَا أُجْرَةٌ، غَيْرَ النَّفَقَةِ وَالْكِسْوَةِ، وَكُلٌّ بِحَسَبِ حَالِهِ، فَلِهَذَا قَالَ: {لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا} فَلَا يُكَلَّفُ الْفَقِيرُ أَنْ يُنْفِقَ نَفَقَةَ الْغَنِيِّ، وَلَا مَنْ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا بِالنَّفَقَةِ حَتَّى يَجِدَ، {لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ}-أَيْ:لَا يَحِلُّ أَنْ تُضَارَّ الْوَالِدَةُ بِسَبَبِ وَلَدِهَا،إِمَّا أَنْ تُمْنَعَ مِنْ إِرْضَاعِهِ،أَوْ لَا تُعْطَى مَا يَجِبُ لَهَا مِنَ النَّفَقَةِ،وَالْكِسْوَةِ أَوِ الْأُجْرَةِ، {وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ}بِأَنْ تَمْتَنِعَ مِنْ إِرْضَاعِهِ عَلَى وَجْهِ الْمُضَارَّةِ لَهُ، أَوْ تَطْلُبُ زِيَادَةً عَنِ الْوَاجِبِ، وَنَحْو ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّرَرِ.

-وَدَلَّ قَوْلُهُ:{مَوْلُودٌ لَهُ} أَنَّ الْوَلَدَ لأبِيهِ، لأنَّهُ مَوْهُوبٌ لَهُ، وَلأنَّهُ مِنْ كَسْبِهِ، فَلِذَلِكَ جَازَ لَهُ الْأَخْذُ مِنْ مَالِهِ، رَضِيَ أَوْ لَمْ يَرْضَ، بِخِلَافِ الْأُمِّ.

-وَقَوْلُهُ:{وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ}-أيْ: عَلَى وَارِثِ الطِّفْلِ إذَا عُدِمَ الْأب، وَكَانَ الطِّفْلُ لَيْسَ لَهُ مَالٌ، مِثْل مَا عَلَى الْأبِ مِنَ النَّفَقَةِ لِلمُرْضِعِ وَالْكِسْوَةِ، فَدَلَّ عَلَى وُجُوبِ نَفَقَةِ الْأقَارِبِ الْمُعْسِرِينَ، عَلَى الْقَرِيبِ الْوَارِثِ الْمُوسِرِ،{فَإِنْ أَرَادَا}-أيْ: الْأبَوَانِ {فِصَالًا}-أيْ:فِطَام الصَّبِيِّ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ،{عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا} بِأَنْ يَكُونَا رَاضِيَيْنِ {وَتَشَاوُرٍ} فِيمَا بَيْنَهُمَا، هَلْ هُوَ مَصْلَحَةٌ لِلصَّبِيِّ أمْ لا؟ فَإنْ كَانَ مَصْلَحَةً وَرَضِيَا { فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا } فِي فِطَامِهِ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ، فَدَلَّتِ الْآيَةُ بِمَفْهُومِهَا، عَلَى أَنَّهُ إنْ رَضِيَ أحَدُهُمَا دُونَ الآخَرِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ مَصْلَحَة لِلطِّفْلِ، أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِطَامُهُ.

-وَقَوْلُهُ:{وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ}-أيْ:تَطْلُبُوا لَهُمُ الْمَرَاضِعَ غَيْرَ أمَّهَاتِهِمْ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْمُضَارَّةِ {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ}- أيْ: لِلمُرْضِعَاتِ، {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} فَمُجَازِيكُمْ عَلَى ذَلِكَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ}.



(٣)حَقُّ التَّرْبِيَةِ:

-إنَّ تَرْبِيَةَ الْأبْنَاءِ مِنْ أعْظَمِ الْأعْمَالِ،وَأفْضَلِ الْقُرُبَاتِ،فَهِيَ دَعْوَةٌ،وَتَعْلِيمٌ، وَنُصْحٌ، وَإرْشَادٌ،وَعَمَلٌ، وَقُدْوَةٌ،وَنَفْعٌ لِلفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ،وَإنَّ مِنْ أعْظَمِ مَا افْتَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْآبَاءِ وَالْأمَّهَاتِ تجَاه نِعْمَةِ الذُّرِّيَّةِ الْقِيَامَ عَلَى أمْرِ تَرْبِيَتِهِمْ،

وَتَعَاهُدِهِمْ بِمَا يُصْلِحُ لَهُمْ أُمُورَ دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ،فَالْأوْلَادُ فِي مَنْهَجِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،قَالَ اللهُ تَعَالَى:{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}.(الكهف:٤٦).

-وَالْقِيَامُ عَلَى تَرْبِيَتِهِمْ مِنْ أعْظَمِ الْأمَانَاتِ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}.(التَّحريم:٦).

فَوِقَايَةُ الْأهْلِ وَالْأوْلَادِ بِتَعْلِيمِهِمْ وَتَأدِيبِهِمْ.

-وَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٢٤٠٩)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(١٨٢٩)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-

أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ:{كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ}.قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: {وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ}.

-فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُرْشِدُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَى الْقِيَامِ بِوَاجِبِهِ نَحْوَ مَا خَوَّلَهُ اللهُ عَلَيْهِ،فَيُخْبِرُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنَّهُ مَا مِنْ مُسْلِمٍ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا وَتَحْتَهُ مَنْ يَرْعَاهُمْ وَيَتَحَمَّلُ مَسْؤولِيَّتَهُمْ، فَيَقُولُ:{كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ}، وَالرَّعْيُ: هُوَ حِفْظُ الشَّيءِ وَحُسْنُ التَّعَهُّدِ لَهُ، وَالرَّاعِي: هُوَ الْحَافِظُ الْمُؤْتَمَنُ الْمُلْتَزِمُ صَلَاحَ مَا قَامَ عَلَيْهِ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ تَحْتَ نَظَرِهِ شَيءٌ فَهُوَ مُطَالَبٌ بِالْعَدْلِ فِيهِ وَالْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَمُتَعَلِّقَاتِهِ، فَإِنْ وَفَّى مَا عَلَيْهِ مِنَ الرِّعَايَةِ حَصَلَ لَهُ الْحَظُّ الْأَوْفَرُ وَالْجَزَاءُ الْأَكْبَرُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ طَالَبَهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ بِحَقِّهِ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَائِلُهُ عَنْ تِلْكَ الرَّعِيَّةِ إِنْ فَرَّطَ فِي حُقُوقِهَا.

-ثُمَّ فَصَّلَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مَا أَجْمَلَهُ:فَالْإِمَامُ الْأَعْظَمُ -الْخَلِيفَةُ- رَاعٍ فِيمَا اسْتَرْعَاهُ اللهُ، فَعَلَيْهِ حِفْظُ رَعِيَّتِهِ فِيمَا تَعَيَّنَ عَلَيْهِ مِنْ حِفْظِ شَرَائِعِهِمْ وَالذَّبِّ عَنْهَا، وَعَدَمِ إِهْمَالِ حُدُودِهِمْ، وَتَضْيِيعِ حُقُوقِهِمْ وَتَرْكِ حِمَايَتِهِمْ مِمَّنْ جَارَ عَلَيْهِمْ، وَمُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِمْ، فَلَا يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا يَطْلُبُ أَجْرَهُ إِلَّا مِنَ اللهِ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

-وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ -زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ وَغَيْرِهِمْ-رَاعٍ بِالْقِيَامِ عَلَيْهِمْ بِالْحَقِّ فِي النَّفَقَةِ وَحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ، وَتَقْوِيمِهِمْ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

-وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ بِحُسْنِ التَّدْبِيرِ فِي أَمْرِ بَيْتِهِ، وَتَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِ، وَالتَّعَهُّدِ لِخَدَمِهِ وَأَضْيَافِهِ،وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا.

-وَالْخَادِمُ -أَيْ: الْعَبْدُ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْأَجِيرُ عُمُومًا- فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ بِالْقِيَامِ بِحِفْظِ مَا فِي يَدِهِ مِنْهُ وَخِدْمَتِهِ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

-وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ بِحِفْظِهِ وَتَدْبِيرِ مَصْلَحَتِهِ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

-فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَعَمَّمَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي أوَّلِ الْحَدِيثِ، ثُمَّ خَصَّصَ، وَقَسَّمَ الْخُصُوصِيَّةَ إلَى جِهَةِ الرَّجُلِ وَجِهَةِ الْمَرْأةِ، وَهَكَذَا، ثمَّ عَمَّمَ آخِرًا تَأْكِيدًا لِبَيَانِ الْحُكْمِ أوَّلًا وَآخِرًا.



•وَتَرْبِيَةُ الطِّفْلِ تَشْمَلُ جَمِيعَ جَوَانِبِهِ وَلَهَا أهْدَافٌ مُتَعَدِّدَةٌ مِنْهَا:

(أ)إنَّ مِنْ أهْدَافِ تَرْبِيَةِ الطِّفْلِ هُوَ أنْ يَفْتَحَ الطِّفْلُ عَيْنَهُ مُنْذُ نَشْأتِهِ عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ،وَالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ،وَعَلَى امْتِثَالِ أوَامِرِ اللهِ وَرَسُولِهِ،وَعَلَى اجْتِنَابِ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ،وَيُدَرَّبَ عَلَى الابْتِعَادِ عَنْهَا، وَالطِّفْلُ يَرْتَبِطُ مُنْذُ صِغَرِهِ بِأحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَبِذَلِكَ فَإنَّهُ لَا يَعْرِفُ سِوَى الْإسْلَامِ تَشْرِيعًا وَمِنْهَاجًا.

(ب)تَرْبِيَةُ الطِّفْلِ عَلَى احْتِرَامِ الْقِيَمِ وَالْأخْلَاقِ.

(ج)تَوْفِيرُ الْأسْبَابِ الَّتِي تَجْعَلُ الطِّفْلَ سَعِيدًا،كَالهْتِمَامِ بِالرِّعَايَةِ الصِّحِّيَةِ للطِّفْلِ،وَالصِّحَةُ هُنَا تَشْمَلُ جَمِيعَ الْجَوَانِبِ: الْبَدَنِيَّة، وَالنَّفْسِيَّة وَالْعَقْلِيَّة، وَالرُّوحِيَّة.

-الصِّحَّةُ الْبَدَنِيَّةُ: إنَّ الصِّحَّةَ الْبَدَنِيَّةَ مِمَّا فُطِرَ النَّاسُ عَلَى الاهْتِمَامِ بِهِ؛ لأنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِغَرِيزَةِ الْبَقَاءِ كَمَا أنَّهَا السَّبِيلُ لِتَحْقِيقِ الْغَايَاتِ الْمَادِيَّةِ مِنْ مَأكَلٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ وَمَرْكَبٍ.

-وَقَدِ اهْتَمَّ الإسْلَامُ بِالْإنْسَانِ فَنَهَى عَنْ قَتْلِهِ بِغَيْرِ سَبَبٍ مَشْرُوعٍ، كَمَا نَهَى عَنْ كُلِّ مَا يَضُرُّ بِبَدَنِهِ وَصِحَّتِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}.(الأنعام:١٥١)، وَقَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.(الأعراف:١٥٧). وَأخْرَجَ ابنُ مَاجَه-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(١٩٠٩)مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-أنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{قَضَى أنْ لَّا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ}.

-الصِّحَّةُ النَّفْسِيَّةُ: لَقَدْ حَرَصَ الإسْلَامُ عَلَى تَرْبِيَةِ النَّفْسِ الْفَاضِلَةِ وَتَزْكِيَتِهَا بِالْخِصَالِ النَّبِيلَةِ، فَكَانَ أهَمُّ مَا سَعَي إلَيْهِ هُوَ تَكْوِينُ النَّفْسِ السَّوِيَّةِ الْمُطْمَئِنَّةِ الْوَاثِقَةِ.

-وَقَوَامُ اسْتِوَاءِ النَّفْسِ يَكُونُ بِالْإِيمَانِ ثُمَّ بِالتَّحَلِّي بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالابْتِعَادِ عَنِ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ مِنَ الْغَضَبِ وَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَالْبُخْلِ وَالْحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا وَالْحَسَدِ وَالْحِقْدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُكْسِبُ الاضْطِرَابَ وَالْقَلَقَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.(طه:١٣١).وَأخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٦٢٩٠)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى رَجُلَانِ دُونَ الْآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، أجْلَ أنْ يُحْزِنَهُ}.وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(١١)يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}.(الحجرات:١١-١٢).

-الصِّحَّةُ الْعَقْلِيَّةُ: إنَّ الْعَقْلَ هُوَ مَنَاطُ التَّكْلِيفِ فِي الْإنْسَانِ لِذَلِكَ أمَرَ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ بِالْحِفَاظِ عَلَيْهِ وَحَرَّمَ كُلَّ مَا يُؤدِّي إلَي الْإضْرَارِ بِهِ أوْ إزَالَتِهِ، وَمِنْ أعْظَمِ مَا يُؤدِّي إلَي ذَلِكَ الْمُسْكِرَاتُ وَالْمُخَدِّرَاتُ لِذَلِكَ حَرَّمَهَا اللهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}.(المائدة:٩٠- ٩١).

-الصِّحَّةُ الرُّوحِيَّة: لَقَدْ اعْتَنَى الشَّرْعُ بِوَضْعِ الْوَسَائِلِ الْكَفِيلَةِ بِالْحِفَاظِ عَلَي الصِّحَّةِ الرُّوحِيَّةِ فَنَدَبَ الْمُؤمِنَ إلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ، كَمَا أوْجَبَ عَلَيْهِ الْحَدَّ الْأدْنَى الَّذِي يَكْفُلُ لَهُ غِذَاءَ الرُّوحِ، وَذَلِكَ بِشَرْعِ الْفَرَائِضِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ، ثُمَّ فَتَحَ لَهُ بَابًا وَاسِعًا بَعْدَ ذَلِكَ بِالنَّوَافِلِ، وَجَمِيعِ أنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ.

-هَذِهِ الْعِبَادَاتِ تَرْبِطُ الْإنْسَانَ بِرَبِّهِ وَتُعِيدُهُ إلَيْهِ كُلَّمَا جَرَفَتْهُ مَوْجَاتُ الدُّنْيَا؛ لِذَا كَانَ الرَّسُولُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: {وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ} وَكَانَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{يَا بِلَالُ، أقِمِ الصَّلَاةَ أرِحْنَا بِهَا }.

-وَقَدْ نَهَى الشَّارِعُ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى سَقَمِ الرُّوحِ وَضَعْفِهَا، فَنَهَى عَنِ اتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ وَالشُّبُهَاتِ وَالانْهِمَاكِ فِي الْمَلَذَّاتِ؛ لأَنَّهَا تُعْمِي الْقَلْبَ وَتَجْعَلُهُ غَافِلًا عَنْ ذِكْرِ اللهِ لِذَٰلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْكُفَّارِ: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا}. (الفرقان:٤٤).، وقال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ}.(محمَّد:١٢).

-وَبِتَحْقِيقِ التَّرْبِيَةِ الصِحِّيَّةِ للطِّفْلِ يَنْشَأ الْمُؤمِنُ الْقَوِيُّ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَأحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى،فَقَدْ أخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٦٦٤)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

-:{الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ}.

(د)وَمِنْ أهْدَافِ التَّرْبِيَةِ أنْ يَتَعَاطَفَ الطِّفْلُ مَعَ الْآخَرِينَ.،فَقَدْ أخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٦٠١١)مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:{تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى}.وَفِي رِوَايَةٍ:{مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ . مَثَلُ الْجَسَدِ إذَا اشتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى}.



(هـ)وَمِنْ أهْدَافِ التَّرْبِيَةِ أنْ يَكُونَ الطِّفْلُ ذَكِيًّا اجْتِمَاعِيًّا.

(و)وَمِنْ أهْدَافِ التَّرْبِيَةِ أنْ يَشْعُرَ الطِّفْلُ بِالرَّاحَةِ النَّفْسِيَّةِ وَيُطَوِّرُ مِنْ مَهَارَاتِهِ بِاسْتِمْرَارٍ.

(ز)وَمِنْ أهْدَافِ التَّرْبِيَةِ أنْ يَكُونَ الطِّفْلُ شُجَاعًا وَجَرِيئًا فِي الْحَقِّ بِأدَبٍ،وَإِلَيْكُمْ نَمُوذَجَانِ لأبْنَاءِ السَّلَفِ الصَّالِحِ:

•الْأَوَّلُ:غُلَامٌ فَقِيهٌ مُعَلَّمٌ:

عِنْدَمَا آلَتْ الْخِلاَفَةِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-سَنَةَ٩٩هِجْرِيَّة وَجَاءَتْهُ الْوُفُودُ مُهَنِّئَةً مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ .

وَذَاتَ يَوْمٍ أَقْبَلَتِ عَلَيْهِ وُفُودٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانَتِ الْعَادَةُ أَنَّ كُلَّ وَفْدٍ يَنْتَدِبُ خَطِيباً تُتَوَسَّمُ فِيهِ الْفَصَاحَةُ لِيُعَبِّرَ عَنْ تَهْنِئَةِ الْوَفْدِ. وَلَمَّا حَانَ دَوْرُ أَحَدِ الْوُفُودِ، وَكَانَ أَحَدُ رِجَالِ الْوَفْدِ يَصْطَحِبُ وَلَدَهُ مَعَهُ وَكَانَ فِي نَحْوِ الْعَاشِرَةِ مِنْ عُمُرِهِ، وَإِذَا الْغُلاَمُ يَشْرَئِبُّ لِلْكَلاَمِ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى عُمَرَ حَتَّى قَالَ لِلْغُلاَمِ: إِجْلِسْ أَيُّهَا الْغُلاَمُ وَدَعْ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْكَ لِلْحَدِيثِ، فَإِذَا الْغُلاَمُ يَثِبُ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ عُمَرَ وَقَالَ لَهُ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْمَرْءَ بِأَصْغَرَيْهِ: قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَإِذَا أَعْطَى اللهُ عَبْدَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِسَاناً لاَفِظاً فَقَدْ أَعْطَاهُ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَوْ أَنَّ الْأُمورَ تُقَاسُ بِالسِّنِّ، لَكَانَ مِنْ بَيْنِنَا مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِمَجْلِسِكَ هَذَا مِنْكَ!

فَإِذَا عُمَرُ يُؤْخَذُ بِثَبَاتِ الْغُلاَمِ، وَقُوَّةِ جَنَانِهِ، وَفَصَاحَةِ بَيَانِهِ، وَذَلاَقَةِ لِسَانِهِ، حَتَّى قَالَ لَهُ: صَدَقْتَ يَا بُنَيَّ، فَتَكَلَّمْ فَإِنَّ هَذَا هُوَ السِّحْرِ الْحَلاَل!فَقَالَ الْغُلاَمُ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَحْنُ وَفْدُ التَّهْنِئَةِ، وَلَسْنَا وَفْدَ التَّرْزِئَة، فَلَمْ تُقْدِمْنَا إِلَيْكَ رَغْبَةٌ وَلَا رَهْبَةٌ.. لِأَنَّنَا قَدْ أَمِنَّا فِي أَيَّامِكَ مَا خِفْنَا، وَأَدْرَكْنَا مَا طَلَبْنَا..

فَتَهَلَّلَ عُمَرُ لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْقَوْلَ وَفَرِحَ بِالطَّبْعِ لِمَا فِيهِ مِنْ ثَنَاءٍ، وَكَانَ بِجِوَارِهِ مُحَمَّدٌ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، فَمَالَ عَلَى عُمَرَ وَقَالَ لَهُ:

(يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لاَ يَغْلِبَنَّ جَهْلُ الْقَوْمِ بِكَ، مَعْرِفَتَكَ بِنَفْسِكَ، فَإِنّ قَوْماً غَرَّهُمُ الثَّنَاءُ، وَخَدَعَهُمُ الشُّكْرُ، فَزَلَّتْ أَقْدَامُهُمْ فَهَوَوْا فِي النَّارِ، أَعَاذَكَ اللهُ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، وَأَلْحَقَكَ اللهُ بِسَالِفِ هَذِهِ الأمَّةِ).

فَبَكَى عُمَرُ حَتَّى خِيفَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ لاَ تُخْلِنَا مِنْ وَاعِظٍ!!

•فَيَالَهَا مِنْ تَرْبِيَةٍ صَالِحَةٍ أَثْمَرَتْ شَجَاعَةً وَثَبَاتاً مَعَ فَصَاحَةٍ وَحِكْمَةٍ وَأَدَبٍ جَعَلَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْن عَبْد الْعَزِيز -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-يَسْتَمِعُ لَهُ وَيُقَدِّمُهُ فِي مَجْلِسِهِ.

(انْظُرْ:اتْحَاف السَّادة المتَّقِين بشرح إحياء علوم الدِّين:١-١٤ ج١١ص:١٠٥).



•الثَّانِي:دِرْوَاسُ بْنُ حَبِيبٍ وَالْخَلِيفَةُ هِشَامِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ:

-ذَكَرَ ابْنُ مَنْظُور-رَحِمَهُ اللهُ-فِي "مُخْتَصَرِ تَارِيخِ دِمَشْقِ

:٩٧/٣"قَالَ:{حَدَّثَ الْأصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ الْمُقْرِئ قَالَ: سَمِعْتُ عَاصِمَ بْنَ الْحَدثَان يُحَدِّثُ أَنَّ الْبَادِيَةَ قَحِطَتْ زَمَنَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَدِمَتْ وُفُودُ الْعَرَبِ مِنَ الْقَبَائِلِ؛ فَجَلَسَ هِشَامٌ لِرُؤَسَائِهِمْ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَفِيهِمْ دِرْ ◌ِباسُ-وَقِيلَ دِرْوَاسُ- بْنُ حَبِيبٍ وَلَهُ أَرْبَعُ عَشْرَة سَنَة، عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ، لَهُ ذُؤَابَةٌ، فَأَحْجَمْ الْقَوْمُ وَهَابُوا هِشَاماً، فَوَقَعَتْ عَيْنُ هِشَامٍ عَلَى دِرْبَاس فَاسْتَصْغَرَهُ فَقَالَ لِحَاجِبِهِ: مَا يَشَاءُ أَحَدٌ يَصِلُ إِلَيَّ إِلَّا قَدْ وَصَلَ حَتَّى الصِّبْيَان! فَعَلِمَ دِرْبَاسٌ أَنَّهُ يُرِيدُهُ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إنَّ دُخُولِيَ لَمْ يَضُرَّك وَلَا أَنْقَصَك وَلَكِنَّهُ شَرَّفَنِي، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدِمُوا لِأمْرٍ فَأَحْجَمُوا دُونَهُ؛ وَإنَّ الْكَلَامَ لَنَشْرٌ، وَإِنَّ السُّكُوتَ طَيٌّ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِنَشْرِهِ؛ قَالَ: فَانْشُرْ لَا أَبَالَكَ وَأعْجَبَهُ كَلَامُهُ.

فَقَالَ: إِنَّهُ أَصَابَتْنَا سُنُون ثَلَاثٌ، فَسَنَةٌ أَكَلَتِ اللَّحْمَ، وَسَنَةٌ أَذَابَتِ الشَّحْمَ، وَسَنَةٌ أَنْقَتِ الْعَظْمَ؛ وَفِي أَيْدِيكُمْ فُضُولُ أَمْوَالٍ، فَإِنْ كَانَتْ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فَفَرِّقُوهَا عَلَى عِبَادِ اللهِ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَعَلَامَ تَحْبِسُونَهَا عَنْهُمْ؟ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ، وَلَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ أَبِي حَبِيبَ بْنَ دِرْبَاس بْن لَاحِق يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ لَاحِق بْن مَعْد بْن ذُهْلٍ أَنَّهُ وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَسَمِعَهُ يَقُولُ:{ كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ}، وَإِنَّ الْوَالِيَ مِنَ الرَّعِيَّةِ كَالرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ، لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهَا. فَاحْفَظْ مَا اسْتَرْعَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَعِيَّتِهِ. فَقَالَ هِشَامٌ: سَمْعاً لِمَنْ فَهِمَ عَنِ اللهِ وَذَكَّرَ بِهِ؛ ثُمَّ قَالَ هِشَامٌ: مَا تَرَكَ الْغُلَامُ فِي وَاحِدَةٍ عُذْراً. ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُقَسَّمَ فِي أَهْلِ الْبَوَادِي ثَلَاثُ مِئَةَ أَلْفٍ، وَأَمَرَ لِدِرْبَاس بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ارْدُدْهَا إِلَى جَائِزَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَعْجَزَ عَنْ بُلُوغِ كِفَايَتِهِمْ؛ قَالَ: فَمَا لَكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: تَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ؛ قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: مَالِي حَاجَةٌ فِي خَاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَفِي حَدِيثِ آخَر بِمَعْنَاهُ أَنَّهُ أَمَرَ لَهُ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنَّا مِثْلُهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا، تَبْعَث عَلَيَّ صَدَقَة. فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ بَعَثَ إِلَيْهِ بِالْمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَفَرَّقَ دِرْوَاسٌ فِي تِسْعَةِ أَبْطُنٍ مِنَ الْعَرَبِ حَوْلَهُ عَشَرَةَ آلَافٍ عَشَرَةَ آلَافٍ، وَأَخَذَ لِنَفْسِهِ عَشَرَةَ آلَافٍ. فَقَالَ هِشَامٌ: إِنَّ الصَّنِيعَةَ عِنْدَ دِرْوَاس لَتَضْعُف عَلَى سَائِرِ الصَّنَائِعِ}.

-حَقًّا إِنَّهَا التَّرْبِيَةُ الصَّالِحَةُ الَّتِي صَنَعَتْ هَذِهِ النَّمَاذِجَ الْمُضِيئَةَ فَالتَّأَسِي التَّأَسِي يَاشَبَابَ الْإِسْلَامِ.

•اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا نِسَاءَنَا،وَرَبِّ لَنَا أَوْلَادَنَا،وَاجْعَلْهُمْ قُرَّةَ عَيْنٍ لَنَا،وَاجْعَلْهُمْ صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ، آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا،وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،وَفَرِّجْ كَرْبَ أَهْلِنَا فِي فِلَسْطِينَ،وَاجْعَلْ بَلَدَنَا مِصْرَ أَمْنًا أَمَانًا،سَخَاءً رَخَاءً،وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ،وَصَلِّ اللهُمَّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَسَلِّمْ.

•كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللَّهِ أَبُو أَحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمَّد الذَّهَبِيُّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

تمت الرسالة مع تحيات موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية



